بنـاء التوافق الوطني

في بلدان الربيع العربي

الكوابح - البدائل - الفرص

تأليف

ياسر الغرباوي

تقديم

د. المنصف المرزوقي

الرئيـس التونسـي الأسبـق

مكتبة الأسرة العربية

نحو أسرة عربية واعية ..

مركز التنوع لفض النزاعات

Diversity Conflict Resolution Center

بنـاء التوافق الوطني

في بلدان الربيع العربي

الكوابح - البدائل - الفرص

BİNAA
AL TAWAFUK
AL WATANI

YASSER EL-GHARBAWY

1. Baskı: İstanbul
2022 - 1444

بنـاء التوافق الوطني

في بلدان الربيع العربي

الكوابح - البدائل - الفرص

تأليف

ياسر الغرباوي

تقديم

د. المنصف المرزوقي

الرئيـس التونسـي الأسبـق

مركز التنوع لفض النزاعات
Diversity Conflict Resolution Center

مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية ..

بنـاء التوافق الوطني

في بلدان الربيع العربي

الكوابح - البدائل - الفرص

تأليف: **ياسر الغرباوي**

تقديم: **د. المنصف المرزوقي**

القياس: 17 X 24 سم

عدد الصفحات : 176 ص

ISBN: 978-625-8063-29-5

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مركز **التنوع** لفض النزاعات
Diversity Conflict Resolution Center

مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية ..

طبـاعــة ونشــر وتوزيع
إصدارات مُختــارة للأســرة العربيــة

www.arabfamilybs.com
+90 212 631 81 09 - +90 531 935 71 31
info@arabfamilybs.com

UFUK neşriyat®
BASIN-YAYIN-DAĞITIM

Sertifika No: 65276

UFUK NEŞRİYATIN.® TÜRKİYE BASIM YAYIN MESLEK BİRLİĞİ ÜYESİDİR.

Baskı Cilt: Enes Basın Matbaacılık Ltd. Şti. Litros Yolu Fatih San. Sit. No: 12/210 - Topkapı / İstanbul

الفهرس

مقدمة الرئيس التونسي الأسبق المنصف المرزوقي 7

مُقدمة المؤلف 12

الفصل الأول: الكوابح والبدائل والفرص 16

كثافة الأيديولوجيا 18

الإيمان بالحلول الجذرية 31

اعتبار التوافق حدثاً وليس مساراً 34

العائد الاستراتيجي من التوافق 36

عدم الانحياز للمستقبل 41

غياب المشاريع 47

ندرة مؤسسات بناء الثقة 54

التركيز على المواقف وليس المصالح 59

الارتهان للخارج 61

السقوط في فخ الفيل والفراشة 65

غياب المرأة عن صناعة التوافق 67

التخلي عن المسؤولية الأخلاقية 72

هيمنة القطيعة 75

المنابع الوجدانية لا تدعم ثقافة التوافق 86

بدائل بناء التوافق الوطني 90
الفصل الثاني: الحوارات 91
التوافق في الفلسفة السياسية – الدكتور/ حسن بن حسن 93
ما هي الأسس الفكرية لبناء التوافق – أ/ هشام جعفر 106
حتى لا يكون الآخر هو الجحيم؟ – حوار الدكتور/ ميشيل نصير 119
آلام الذاكرة وصناعة التوافق – حوار الدكتور/ عمرو خيري عبد الله 128
التنازلات المتبادلة وإدارة الاختلاف – حوار الباحثة/ أمل وشنان 138
الديكتاتورية كتحدى في سبيل بناء التوافق – حوار أ/ إسلام لطفي 142
الهمينة الخارجية وبناء التوافقات الوطنية – حوار/ شوقي القاضي 153
الخاتمة 159

مقدمة الرئيس التونسي الأسبق المنصف المرزوقي

كتاب "بناء التوافق الوطني في بلدان الربيع العربي.... الكوابح والبدائل والفرص"

لصاحبه الأستاذ ياسر الغرباوي له ميزة أساسية: أنه جاء في الوقت المناسب مما يجعل من قراءته ضرورة.

كلنا نعي الأهمية التي اكتسبتها كلمة توافق في الخطاب السياسي العربي المعاصر، وكلنا نعرف أنه ما كان لها أن تأخذ هذا الحيز من اهتمام الفاعلين والباحثين في الشأن السياسي لولا ما تعبر عنه من خطورة العنصر الغائب وأهمية العنصر المطلوب.

أما العنصر الغائب فهو الديمقراطية التي تدير الاختلاف في الرأي والتضارب في المصالح بصفة سلمية.

في إطار مثل هذا النظام التوافق أمر عادي مثلاً في تشكيل الحكومات بعد انتخابات لا تفرز أغلبية واضحة، الأهمّ من هذا أن الديمقراطية قادرة على مواصلة إدارة الشأن العام حتى دون توافق الأطراف السياسية إذ يكفي العودة للانتخابات لبناء أغلبية تحكم، كل هذا دون أن يهدد العنف أهم مكسب للديمقراطية أي السلم المجتمعي.

في عالمنا العربي الذي تغيب فيه كل هذه الآليات لفض النزاعات سلمياً، ظهر التوافق كحلّ مرحلي قبل إرساء دعائم الديمقراطية عادة، إبان بناء الجبهات الواسعة ضد الدكتاتورية، أو كأقل الحلول ضرراً لمواصلة تجربة ديمقراطية هشّة بالبحث عن صيغ تعايش مع بقايا النظام الاستبدادي. تونس بعد الثورة نموذجاً.

إني وأنا أتفق مع الباحث بخصوص الأسباب الفكرية والنفسية التي تقف حجر عثرةٍ في وجه التوافق والتي يتفحصها بدقة وذكاء (احتكار الرؤية والحقيقة، غياب الموضوعية باعتماد مؤشرات النجاح والفشل، الخ) فإنني أعتقد أن هناك بعدٌ أعمق للتوافق.

فبالتجربة السياسية اكتشفت أن التوافق يمكن أن يكون خدعة حرب لا أكثر، وأنه يمكن أن يكون صفقة بين أطراف سياسية معينة لتقاسم السلطة والنفوذ على حساب المبادئ والمصالح العامة.

وهذا النوع من التوافق أصبح اليوم محلّ اتهام في تونس إذ تبين بالكاشف أن نتيجته كانت التضحية بالثورة وبمشروعها وأن حصيلته لم تكن حل أزمة الانتقال الديمقراطي بقدر ما كانت ترحيلاً وتعميقاً لهذه الأزمة.

ليس من المبالغة القول إن ما تتخبط فيه تونس اليوم من عودة الاستبداد كان نتيجة توافقات مغشوشة فاقمت المرض ولم تعالجه.

في المقابل هناك توافقات ناجحة هي المبنية على التمسك بالمبادئ والعادة أن مردوها لا يظهر إلا على المدى الطويل، مثلاً التوافق الذي حصل صيف 2003 في لقاء Aix En Provence في فرنسا والذي جمع العلمانيين والإسلاميين التونسيين، وتم التوافق بينهم حول نقط الالتقاء أي بناء نظام ديمقراطي على أنقاض نظام استبدادي لا توافق معه وتبادل الضمانات المشتركة بخصوص تونس الغد، هكذا ضمن العلمانيون للإسلاميين الهوية العربية الإسلامية للبلاد وتعهد الإسلاميون باحترام الحقوق والحريات وخاصة المساواة بين الرجل والمرأة في ظل دولة ديمقراطية تستمد قوانينها من برلمان منتخب وليس من الشريعة.

لقد كانت تنازلات هامة وموجعة لكن التوافق الذي بني ذلك الصيف هو الذي سيمهد بعد أقل من عقد لحكومة الترويكا ولدستور الثورة التي يسعى المستبد الحالي لإلغائه.

معنى هذا أن التوافق الحقيقي لا يكون إلا على مبادئ وليس على تقاسم مصالح ومغانم وأنه مرحلة ضرورية لبناء الديمقراطية لكن لا يمكن أن يعوضها.

يجب أن يكون لنا إذن رؤية إيجابية للتوافق لمنع "*إقصاء أو تهميش فئات المجتمع ومكوناته المتنوعة* " كما يقول الباحث وخاصة حتى نتفادى "*المرور على محطات الحروب الأهلية والانقسامات المؤلمة على المستوى الاجتماعي والسياسي*".

لكن لا يجب أن ننسى أن قدر كل المفاهيم النبيلة أن يتم الاستحواذ عليها بسرعة لتصبح غطاء براقاً لمواقف وتصرفات لا علاقة لها بالشعارات المرفوعة.

يبقى رغم هذا التحفظ وهذا التحذير أن التوافق أمر ضروري أولاً داخل المنظمات السياسية نفسها التي تشقها دوماً خلافات أيدولوجية وشخصية.

دون توافق داخلي مآل هذه المنظمات التشظي إلى ما لا نهاية أي للعجز وهذا للأسف ما تعرفه الكثير من أحزابنا الديمقراطية منها وغير الديمقراطية.

هنا يتم الربط بين الظاهرة السياسية الموضوعية وبين الأسباب العميقة التي تعرض لها الباحث أي ما يسميه كثافة الأيدولوجيا وغياب المشروع، باستثناء المشروع الشخصي والعيش في اللحظة دون أفق مستقبل قد يبدو بعيداً لكنه قابل للتحقيق إن حسنت النية.

هذا التوافق ضروري أيضاً بين مختلف مكونات المعارضة الساعية للانتهاء من احتكار أقلية فاسدة للحكم والحقيقة والمصالح والقرارات التي تهم مصير شعب بأكمله، هنا أيضاًسنرتطم بنفس العقليات المريضة التي تتصدى للتنازلات المشتركة وهي الضمان الأول للعمل المشترك.

يبقى موضوع التوافق مع النظام الاستبدادي أو بقاياه وهذا بيت القصيد.

وإني متفق تماماًمع الكاتب حول شروط نجاح مثل هذا التوافق وأحسن مثال له ذلك الذي مكن مانديلا ودي كليرك في التسعينات من توفير حمام دم على شعب جنوب أفريقيا حيث تم إلغاء نظام الابارتايد دون المرور بحرب أهلية، نعم يجب البحث كما يقول الكاتب عن كل الصيغ التي تمنع من تفاقم الاحتقان السياسي والمجتمعي وخاصة المرور للحرب الأهلية.

لكن السؤال هو ماذا يجب أن نفعل إن رفض الطرف الآخر أي تنازل كما هو الحال اليوم مع سفاح دمشق، أو إذا كان الحوار الذي يقبل به هو الذي نصفه في تونس ب ‹› عصفور يغني وجناحه يردّ عليه‹‹

محصلة كل التجارب أن التوافق أداة يجب استعمالها تفضيلاً على كل الأدوات الأخرى

ودفعها إلى أقصى مجال لكن دون وهم، لا حول استعمالها أحياناً لتمرير الصفقات المشبوهة ولا حول استعداد دائم من الطرف المقابل لتوافق حقيقي أي مبني على تنازلات حقيقية لا على املاءات مغلفة.

مما يعني أن التوافق ليس الحل السحري لكل تناقضات المجتمع وتضارب المصالح وأنه يجب معرفة متى يجب تركه جانباً لمواصلة المقاومة المدنية السلمية إلى أن يصبح مطلب الطرف الآخر وليس فقط عرضاً سخياً يقابل بالتحايل أو الازدراء.

يبقى أن أهم ما في الكتاب بقية المشروع حيث يلحّ الأستاذ ياسر الغرباوي على أن التوافق لا يجب أن يبقى محصوراً في الجانب السياسي لأن مجاله أوسع عليه أن يتسلل إلى كل الميادين الاجتماعية أي أن يصبح جزءاً من الثقافة.

ما أبعدنا عن مثل هذا الهدف والعقليات السائدة في جل المجالات الاجتماعية وريثة قرون من الاستبداد السياسي والتعصب الديني والفكري والفقر الثقافي وحتى التدهور الأخلاقي.

لكن خاصية المجتمعات أنها كائنات حية تتعلم من أخطائها ولا تكف عن الجري وراء البدائل الكفيلة برفع مستوى الوعي والوجود. ومن ثم يمكن اعتبار هذا الكتاب ودعوته للتوافق في المجال السياسي والمجتمعي مؤشر هام على بداية تشكل وعي جديد يبدأ كما هو الحال دوماً في أضيق نطاق لبعض المفكرين والسياسيين ليتوسع إن حالفه الحظ وعناد الحالمين ليصبح جزءاً من الثقافة المنشودة.

حظ سعيد للكتاب وللأفكار التي يدافع عنها

المنصف المرزوقي

باريس 3-6-2022

مُقدمة المؤلف

عانت المنطقة العربية خلال عقود طويلة من آثار المشروع الاستعماري، والذي كان أبرز آثاره

تعزيز الفقر في عديد من الدول العربية مما رهن اقتصاداتها –لآجال طويلة– للتبعية الاقتصادية، والتأثير الثقافي السلبي في المجتمعات المحلية من خلال نشر لغة ونمط تعليم غير وطني (الجزائر نموذجاً)، وكبح أي فرص لوجود هياكل إدارية عليا ووسطى وطنية، وتقليص قدرات هذه الدول عسكرياً، مما رهن القرار السياسي في كثير من الدول للتبعية السياسية لفترات طويلة.

وبعد رحيل الاستعمار أتت حكومات التحرر الوطني التي كان أمامها معضلات منها ما له علاقة بالتحديّات السابق ذكرها، وبالفعل استطاعت معالجة بعضها، لكن بقى هناك ملف كبير للغاية لم تستطع الحكومات المتعاقبة في المنطقة العربية التعامل معه بشكل جذري وهو ملف (التوافق الوطني) الذي نستطيع أن نقول إن هناك رؤية عامة غير ناضجة في إدارته، وفي إدارة قضاياه الفرعيَّة مثل: التنوع الثقافي والهوياتي والديني، وتوزيع الثروة والسلطة.

وقد أثبتت التجارب التاريخية في المنطقة أن الفشل في التعاطي مع هذا الملف بقضاياه دفع –ولا يزال– في تكريس نتائج كارثية ليس أقلها تهديد السلم الأهلي، واشتعال جذوة الحروب الأهلية الناجمة عن وجود احتقانات سياسية وطائفية واسعة، يمكن هنا الحديث على سبيل المثال لا الحصر: السجال السني –الشيعي في العراق ولبنان والبحرين، والاحتقان الأمازيغي– العربي في منطقة المغرب العربي، والصراع الكردي–العربي في العراق، والصراع الإفريقي– العربي على الهوية في الصومال والسودان وغيرها.

وكانت ثورات الربيع العربي فرصة لتحقيق خطوةٍ إيجابيةٍ ما في إدارة هذا الملف، لكن ما حدث هو العكس تماماً، لقد أصبح هذا الملف ذاته هو العائق أمام تحقيق أي نتائج إيجابية كبيرة ملموسة لخلق توافق سياسي ومجتمعي، وتوزيع عادل للثورة والسلطة، وتعزيز الحقوق الاجتماعية والاقتصادية.

من المهم هنا أن نقول: إن ثورات الربيع العربي، والثورات التي تلتها (ثورة الجزائر والسودان)، أو الانتفاضات الصغيرة التي تأثرت بالثورات العربية (الانتفاضات المتتالية في لبنان والعراق نموذجاً)

لم تخلق حالة التوتر المجتمعي، والاستقطاب السياسي، والنزعة الانقسامية البارزة الآن بشكل واسع في المحيط العربي؛ وإنما فتحت الثورات العربية هذا الملف، وألقت بالضوء على قضاياه

ومشاكله؛ لكنها لم تستطع–لتعثرها بسبب أزمات هيكلية وبنيوية مختلفة– في أن تجد حلولاً لعلاجه. لقد كانت الطموحات الموجودة في قلب الشارع العربي، والأدوات التي امتلكتها المجموعات التي قادت الحراك في هذه الثورات أقل كثيراً من إمكانيات الواقع السياسي والاجتماعي الجديد، كانت هذه الثورات تمتلك أحلاماً واسعة بديمقراطية جذرية، ودولة عادلة تسع الجميع، لكنها للأسف لم تكن تمتلك الروافع الكافية لتحويل هذه الأحلام لواقع مختلف عن واقع ما قبل ديسمبر 2010 (لحظة اشتعال شرارة الثورة في تونس).

ولأن الثورات العربية لم تنجح في إحداث تغييرات جذرية، فقد كشفت عن أمراضٍ واسعةٍ ما بين نزاعات انقسامية على أساس جغرافي، ومطالبات انفصالية على أساس طائفي، واستقطاب سياسي واجتماعي على أساس الخلافات الأيدلوجية، وتفتت كامل لبنية الدولة تقريباً بسبب الطائفية.

البعض يعتبر أن الحركات التي قادت الحراك السياسي في الثورات العربية كان لديها هدف مركزي واحد كبير تسعى خلفه، وهو إسقاط النظم السياسية القديم دفعة واحدة (الشعب يريد إسقاط النظام) لكنها لم تلتفت أو لم يكن لديها أجندة واضحة لمعالجة الجروح التاريخية والطائفية والأيديولوجية.

وبالتالي فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل لو كانت الثورات العربية حققت نجاحات ما في تغيير الأنظمة السياسية هل كان سيعني ذلك بالضرورة حماية المجتمع من خطر الانقسامات السياسية والاجتماعية والدينية؟!

النجاح في إسقاط النظام السياسي وحده كان غير كافٍ للعبور لمجتمع منسجم ومتناغم، لإن إدارة مشروع ضخم مثل "التوافق الوطني" وصناعة التسويات التاريخية أمر شديد الصعوبة لأنه يتطلب جملة عناصر من بينها –وليس كلها–: توافق سياسي كبير بين القوى السياسية الجديدة على أجندة وطنية عامة يمكن السير عليها، وبلورة هذه الأجندة في دستور وطني يشمل بحقوقه كافة فئات المجتمع، ووجود شبكة كبيرة من مؤسسات المجتمع المدني القوية تراقب وتدعم هذا التوافق، ومناخ حر يضمن استمرارية هذا التوافق وتطويره الخ.

لكن هذا لا يغفل أن الثورات اعترفت بالمشكلة، ووضع بعض الحالمين فيها أجندة بسيطة للبحث عن استراتيجيات جديدة لبناء التوافقات الوطنية، لكن الواقع المأزوم لم يسعفهم لأخذ خطوة إيجابية ما..

الواقع العربي الحالي يشير بشكل واضح إلى غياب ثقافة بناء التوافقات على كافة المستويات سواء السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية، فقلما نجد مؤسسة مدنية عربية تجمع أفراداً من الشيعة والسنة، أو من المسلمين والمسيحيين، أو من اليساريين والإسلاميين يعملون معاً على هدف وطني، كما يُلَاحَظْ -بشكل جانبي- نُدرة الأدبيَّات العربية المهتمة بقضايا التوافق وبناء المشترك الإنساني، وقلة المشاريع الثقافية القائمة على فلسفة بناء الجسور بين المكونات السياسية والدينية، وغياب واضح للمشاريع السياسية القادرة على حشد الجماهير نحو المساواة والمواطنة.

لذا يأتي هذا الكتاب "**بناء التوافق الوطني في بلدان الربيع العربي الكوابح و البدائل والفرص**" ليعرض للقارئ العربي مجمل الأزمات التي تواجه مشروع (التوافق الوطني) في المنطقة العربية، كما يحوي الكتاب نقاشات تفصيلية حول برامج عملية وحزمة من البدائل التطبيقية، مستقاة من خبرات وتجارب إنسانية ودولية متنوعة، يمكن الانطلاق منها نحو بناء تسويَّات تاريخية مهمة في منطقتنا العربية.

في النهاية نأمل أن تساهم هذه المادة، ولو بقدر بسيط، في إثراء المكتبة العربية بجملة من الأفكار والنقاشات المحفِّزة على فهم عقبات وتحديات فرص بناء التوافق الوطني، حتى يمكن للمجتمعات العربية أن تتحرك عدة خطوات إيجابية نحو فضاء الحرية والمساواة والعدالة، متجاوزةً المشاكل التاريخية للانقسام والاستقطاب السياسي والمجتمعي.

في هذا الكتاب

هذا الكتاب هو نتاج تجارب متنوعة مررت بها كباحث وفاعل مدني شارك عن قرب في تجارب بناء توافقات وطنية ، وبه خلاصات من خبرات متراكمة لي في مجال "**فض النزاعات وبناء والسلام**"، بالإضافة إلى مطالعة العديد من المراجع المتخصصة في عناوين مثل: "العدالة الانتقالية" والحوار والمصالحة الوطنية، مع خلاصات معرفية للقاءات عمل وتشاور مع عديد من النخب العربية الشابة، وخبراء محليّين ودوليين، وقادة مجتمع دينيّين وسياسيّين، ولذلك جاء محتوى الكتاب مزيجاً من خبرات الجهد المعرفي والعمل الميداني، ويقع الكتاب في فصلَين:

الفصل الأول: يستعرض أهم الموانع الثقافية والأيديولوجية التي تعرقل الحوار والمصالحة الوطنية، وبناء توافق مجتمعي جاد وحقيقي، ونستعرض معها شرحاً لبعض التجارب العالمية التي حققت نجاحاً في تجاوز هذه العقبات.

الفصل الثاني: يشتمل على سلسلة من الحوارات والنقاشات مع خبراء ومثقفين، وسياسيين وفلاسفة يعرضون رؤيتهم لقضايا بناء التوافق الوطني سواء على المسار المعرفي، أو عبر العمل الميداني الذي يقومون به.

الفصل الأول

كوابح وفرص بناء التوافق

قبل الحديث عن الكوابح التي تواجه مشروع "التوافق الوطني"، من المهم توضيح ماذا نقصد هنا بمفهوم التوافق الوطني؟

التوافق الوطني عند الباحث كمال كركوكي[1] يُعبر عن :"الثوابت والأُسس التي تختارها أغلبية المواطنين في المجتمع، عن طريق الانتخابات أو الاستفتاءات التي يشارك بها الشعب، حيث يتم تقرير تلك الثوابت عن طريق الأغلبية الناتجة من تلك الانتخابات أو الاستفتاءات، وهذه الثوابت ليست ثوابت أغلبية سياسية أي إنها لا تعبر عن مواقف أو مصالح سياسية لمجموعة أحزاب سياسية فقط، بل هي ثوابت أغلبية مُجتمعية".

فيما يُعرف ثاديوس ميتز التوافق الوطني بأنه "إعادة بناء العلاقات المتضررة" أو "إقامة علاقات محسنة"، أو "تحقيق سلام مستقر[2]" بين المكونات الوطنية التي مرت بالصراع فيما بينها، وهذان التعريفان للتوافق الوطني يصلح أولهما للمجتمعات التي تتمتع بالديمقراطية، ولديها نظم انتخابية شفافة، ونظام قضائي مستقل، وعندها توافق وطني منجز عن طبيعة الدولة وعلاقتها بالدين، وعن طبيعة نظام الحكم فيها، ولديها هوية وطنية جامعة، ولديها مرتكزات بناء الأمة والدولة الوطنية المعاصرة، وبما أن هذا الكتاب موجه للمنطقة العربية والإسلامية التي تعاني من أزمات جوهريَّة في فكرة بناء الدولة الوطنية من الأساس، ولم تحسم بعد نخبتها السياسية والثقافية قضايا الهوية الوطنية الجامعة، والاتفاق على تعريفات مُحدَّدة لها، وتنتشر فيها التوترات الطائفية والعرقية، ولا تتمتع معظم دولها بالديمقراطية وتداول السلطة وعدالة توزيع الثروة، فأعتقد أننا بحاجة إلى بناء تعريف لمفهوم التوافق الوطني يتناسب مع واقع المنطقة، ويُركز على دور النخبة والمكونات الوطنية وأهمية توافقها الوطني كشرط مُسبق لبناء دول عربية عصرية تتمتع بقيم الحرية والعدالة والمواطنة.

أمَّا التعريف الثاني للكاتب ثاديوس ميتز فيركز على إقامة علاقات جديدة بين المكونات المتصارعة سابقاً، وهذا التعريف يعكس محوراً هاماً في مشروع التوافق الوطني، وهو إعادة

1 كمال كركوكي، التوافق السياسي والتوافق الوطني.. المفاهيم، ووسائل التطبيق، والتجارب الدولية، موقع هكار نت، (11 /7/ 2013)، شوهد في 2022/3/1 http://hekar.net/post/13401/.

2 Thaddeus Metz, A Theory of National Reconciliation: Some Insights from Africa philpapers 04 Dec, 2016 :شوهد في 2/3/1 : https://philpapers.org/rec/METATO

بناء شبكة العلاقات الوطنية بين المكونات المجتمعية والسياسية، مما سيساعد في الوصول إلى تسويات تاريخية تجنب المجتمع السقوط مرة أخرى في الشقاق وعدم الوفاق، ولكنه تعريف يعرض جانب واحد هام في التوافق الوطني، وهو جانب (إعادة بناء العلاقات)، لكنه لا يُعرفنا بالهدف من التوافق، وهنا نأتي إلى التعريف الثالث للتوافق للباحث التونسي حسن بن حسن [3] الذي يُعرِّفه بأنه "ساحة للبحث عن المشترك، ويحمل وجهاً آخر مسكوت عنه، فهو مجال لتقديم بعض التنازلات في سبيل تأمين المستقبل"؛ وهو تعريف فلسفي يركز على فلسفة وروح التوافق التي تبحث عن السلام والوئام داخل المجتمع ولو جاء على حساب تقديم كل مكون لبعض التنازلات المتبادلة من أجل تحقيق الاستقرار والأمن للجميع.

ولكننا بعد هذا التعريف الفلسفي لحسن بن حسن نحتاج إلى ما يُعرف بالتعريف الإجرائي (أو العملي) للمفهوم الذي يمكن استخدامه بسهولة من طرف قطاعات واسعة من النخبة العربية الشابة؛ لذلك سأستخدم هذا التعريف الإجرائي للتوافق الوطني في هذا الكتاب بأنه هو ذلك" المسار الذي يتم الاتفاق فيه بين كافة المكونات الوطنية على الحد الأدنى الواجب توفره من الثوابت، والقواعد، والقيم، والتصورات والسياسيات، اللازمة لبناء السِلم الاجتماعي، وعدالة توزيع الثروة، والتداول السلمي للسلطة في المجتمع".

وهذا المسار التوافقي يحتاج إلى تيار أو نخبةٍ مؤمنة به، ومدركة لتحدياته، وتمتلك "جاهزية إنتاج الحلول الوسط" وفق تعبير أرنت ليبهارت[4]؛ ولديها فلسفة "التركيز على أكبر قاسم مشترك بين التيارات السياسية والاجتماعية والثقافية حسب رؤية المستشار طارق البشري[5].

وبناء عملية أو مشروع التوافق الوطني لا يُوهَب للمجتمعات لمجرد حُسن النية، أو البوادر الطيبة التي تبديها بعض المجموعات والنخب السياسية والقطاعات المدنية، وإنما يحتاج بناؤه إلى رجال صبورين وأقوياء يمتلكون الرؤية والقدرة، ويعملون بسياسة النفس الطويل، مستفيدين في ذلك أولاً من التواصل المتناغم الموجود أصلاً داخل المجتمع، المتعالي في كثير من الأحيان على خلافات النخبة، وحواجزهم الأيدلوجية، والأهم بالطبع تعلمهم من إخفاقات التجارب السابقة التي مروا بها، وثانياً من خلال دراستهم للخبرة الإنسانية العالمية، ويمكن هنا على سبيل المثال ذكر التجربة الأمريكية بعد الاستقلال عن بريطانيا وهي التجربة التي تكللت بوضع وثيقة الحقوق والدستور الأمريكي، وهي التجربة التي لم تكن تعبيراً عن إرادة

3 باحث في الفلسفة الغربية ومستشار أكاديمي بجامعة قطر الوطنية، مقابلة شخصية بالدوحة، 17 / 1/ 2022.

4 أرنت ليبهارت، الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد، 2006، ص 55.

5 طارق البشري، نحو تيار أساسي للأمة، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، الطبعة الأولى، 2008، ص 44.

نخبوية وفقط، وإنما كانت تعبيراً عن إرادة شعبية للشعب الأمريكي وقتها الذي خاض نضالات عدة ضد الاستعمار البريطاني، وأراد تكوين وفاق اجتماعي معبر عن تمثيلات عرقية مختلفة لشعب هجين أتى من مناطق متنوعة من دول العالم.

أثناء العمل على هذا الكتاب بدأت بحصر العقبات والكوابح التي تعرقل بناء أي توافق مجتمعي، ووجدت عقبات متنوعة، لكن لاحظت أن أصعبها على الحل، وأكثرها استعصاء على التفكيك هي العوائق الفكرية والأيديولوجية والثقافية، التي تستولى على العقل الجمعي للمجتمع والنخب العربية، وتجعله يجد صعوبة في فهم فلسفة وروح بناء التوافق بين مكونات الوطن الواحد، ولخطورة هذه العقبات والإشكاليات الثقافية والأيديولوجية سأبدأ بها.

المؤلف: ياسر الغرباوي

باحث متخصص في الصراعات وفض النزاعات، مؤسس ومدير مركز التنوع لفض النزاعات، وعضو سابق في لجنة العدالة الوطنية برئاسة الوزراء المصرية التي تشكلت عقب ثورة 25 يناير/كانون الثاني 2011.

تنصب اهتماماته البحثية على قضايا بناء السلام والمصالحة المجتمعية، وقد ساهم في جهود وساطة ببلدان عديدة حول العالم؛ من بينها: مصر واليمن والسودان.

درس الجغرافيا في جامعة القاهرة، وتحليل النزاعات في معهد السلام الأمريكي بواشنطن، وجغرافية المجتمعات الأسيوية في جامعة الزقازيق، كما عمل باحثاً في مركز الجزيرة للدراسات.

يكتب بانتظام حول المسائل المتعلقة بالتوافق الوطني وتحديات بناء السلام ومهددات السلم الأهلي. ويشارك في المؤتمرات ذات الصلة بها.

صدرت له ثلاثة كتب: "حركات التغيير والحراك الجماهيري (2007)"، "الهروب من الحرب الأهلية: مصر نموذجاً (2014)"، " دارفور خلق جديد: تجربة حية في بناء السلام (2018)".

بناء التوافق الوطني في بلدان الربيع العربي (الكوابح - البدائل - الفرص)

د. المنصف المرزوقي

"كتاب جاء في الوقت المناسب، مما يجعل قراءته ضرورة، وإني متفق مع مؤلفه حول شروط نجاح التوافق التي ذكرها، ومتفق معه أيضاً بشأن الأمثلة التي استشهد بها، وبخاصة نيلسون مانديلا وفريدريك دي كليرك في جنوب أفريقيا.

نعم يجب البحث -كما يقول الكاتب- عن كل الصيغ التي تحول دون تفاقم الاحتقان السياسي والمجتمعي، لكن السؤال هو: ماذا يجب أن نفعل إن رفض الطرف الآخر أي تنازل؟

يبقى أن أهم ما في الكتاب هو إلحاح مؤلفه على أن التوافق لا يجب أن يبقى محصوراً في الجانب السياسي؛ لأن مجاله أوسع، وأن عليه أن يتسلل إلى كل الميادين الاجتماعية؛ أي أن يصبح جزءاً من الثقافة.

ما أبعدنا عن مثل هذا الهدف والعقليات السائدة في جل المجالات الاجتماعية وريثة قرون من الاستبداد السياسي، والتعصب الديني والفكري، والفقر الثقافي، وحتى التدهور الأخلاقي.

لكن خاصية المجتمعات أنها كائنات حية تتعلم من أخطائها ولا تكف عن الجري وراء البدائل الكفيلة برفع مستوى الوعي والوجود. ومن ثم يمكن اعتبار هذا الكتاب ودعوته للتوافق في المجال السياسي والمجتمعي مؤشراً هاماً على بداية تشكُّل وعي جديد يبدأ، كما هو الحال دوماً، في أضيق نطاق لبعض المفكرين والسياسيين، ليتوسع، إن حالفه الحظ وعناد الحالمين، ليصبح جزءاً من الثقافة المنشودة".

مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية..
طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مُختارة للأسرة العربية
www.arabfamilybs.com info@arabfamilybs.com
+90 531 935 71 31 +90 212 631 81 09

ISBN 978-625-806-329-5
9 786258 063295

مركز التنوع لفض النزاعات
Diversity Conflict Resolution Center